الدكتور جواد علي ومنهجيتهُ في كتابة التاريخ

أ.د. الاء نافع جاسم
جامعة بغداد - مركز أحياء التراث العلمي العربي

المستخلص

يُعد الدكتور جواد علي من المؤرخين الذين إمتازوا بالتفرّد في مجال إختصاصهِ ، وكان شاملاً وموسوعياً في بحثهِ ، وناقداً ومناقشاً لروايات المؤرخين الأوائل والمتأخرين عرباً ومستشرقين ، ومن الذين ساهموا في البحث التأريخي عن العرب بعصر ما قبل الاسلام ، و كون فكرته التأريخية في المدارس الغربية التي قفزت نوعيتها على مستوى المنهج والرؤية في التعاطي مع علم التأريخ .لاسيما لأنفتاحهِ على المؤرخين الألمان .إلاّ إن أعمالهِ الأكاديمية كانت محكومة بالتثبت بالغريب والغامض من الأخبار التأريخية . وقد إستمد مكانتهُ من آرائهِ العلمية الموضوعية التي تبتعد عن السّرد والسطحية والتطّرف والغلو والتأثر العقائدي.

الكلمات المفتاحية : جواد علي ، المنهج ، التأريخي .

Dr. Jawad Ali and his method of writing history

Prof.Dr. AlaaNafiJassim
University of Baghdad - Center of revival Scientific Heritage
alaanafia66@gmail.com

Abstract

Dr. Jawad Ali is considered one of the historians who distinguished himself in his field of specialization, and he was comprehensive and encyclopedic in his research, and critic and discusser of the accounts of early and late historians Arabs and Orientalists, and who contributed to the historical research on the Arabs in the pre-Islamic era, and he formed his historical idea in western schools whose quality has jumped At the level of the curriculum and vision in dealing with the science of history. Especially because of his openness to German historians. However, his academic work was bound by a strange and mysterious corroboration of historical news. His position was derived from his objective scientific views that depart from narrative, superficiality, extremism, exaggeration and dogmatic influence.

Key words: Jawad Ali, curriculum, historical

المقدمة

لقى علم التاريخ ونظرياتهِ إهتماماً خاصاً من المؤرخين ، وذلك لأهميتهِ الكبيرة في البحث التاريخي وفي إتجاهاتهِ .

وعلم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافي العام . وصلتهِ بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة تستحق الأهتمام بها .

فظهور الاسلام وحدوث التصادم بين الآراء والتيارات الحضارية وتطور الأمة وخبراتها ، كل هذهِ حيوية لفهم التطورات الأولى للكتابة التأريخية .وإن ظهور علم التاريخ عند العرب في صدر الاسلام ، ماهو إلا إستمرار ثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الاسلام

وإن بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في إتجاهين أساسين . الأتجاه الاسلام ي أو الأتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث ، والأتجاه القبلي الذي يُمثل التراث القبلي ، والتيار الاسلام ي الذي يتمثل في المبادىء والفعاليات الاسلام ية .

لذا كان الأهتمام بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعالهِ ، ومغازيه وغزوات أصحابهِ كانت مصدر إهتمام وإعتزاز لدى المسلمين وكانت مواضيع محببة في مجالس السمر ، والأهتمام بالتنظيم الأداري وفي شؤون الحياة ، وإتسع الأهتمام خلال القرن الأول الهجري ليشمل فعاليات الأمة بكاملها وقد ظهرت هذه النواحي في الدراسات التاريخية .

وعلم التاريخ عند العرب جزء من الثقافة العربية ولا يمكن فهمهِ إلا بالأشارة إلى الفعاليات والتطورات الثقافية الآخرى .

وشكل الدكتور جواد علي مع ثلة قليلة من المؤرخين التأسيسات الأولى لبروز مدرسة التاريخ العراقي التي بارت المدارس التأريخية العربية ولاسيما المصرية منها بل تفوقت عليها وأجتازتها أحياناً في الثلاثية الأنموذجية " جواد علي ، عبد العزيز الدوري ، صالح أحمد العلي" وكان الدكتور جواد علي أحد أبرز أضلاع مثلث مدرسة التاريخ العراقية وربما أخذ فيها دور الضلع الأبرز .

أولاً : توطئة :

في نهاية القرن الأول الهجري إستقرت الخطوط العامة للسيرة وجمعت الروايات الأساسية عنها فتحولت من رواية أخبار بسيطة واقعية إلى روايات فيها التمجيد وبعض المبالغة . وظهرت فكرة كتابة الروايات في فترة مبكرة نسبياً ، وبعد إنتهاء القرن الاول الهجري

إستقر إستعمال الكتابة على يد الزهري ومنذُ ذلك الوقت صارت الروايات تؤخذ شفاهاً أو من مصادر مكتوبة(١)

وبظهور الاسلام وإستقرار القبائل في الأمصار ، جمع القبائل في منطقة واحدة ، أوجد نواحي إهتمام جديد لدى القبائل ، وأدخل أوليات الكتابة والقراءة . وهناك أدلة وافية على إستعمال الكتابة لإعانة الذاكرة أو لحفظ الروايات قبل نهاية القرن الأول الهجري وخلال النصف الأول للقرن الثاني الهجري . بدأت ظهور روايات مسجلة جنب الروايات الشفوية(٢) . ويشير المؤرخ جواد علي على تشابه الرواية بين الحديث والتاريخ بقولهِ " من خلال دراستنا لمصادر تأريخ الطبري أن هذا الرأي لايستند إلى حجة ، وأن تشابه الحديث والتأريخ في طريقة الرواية لايمكن أن يكون دليلاً على تفرع التأريخ من الحديث ، وسنرى أن التاريخ كان قديماً قدم الحديث ، وأن الناس كانوا يدونون الحوادث ويعنون بتأريخ الماضين ، وأن الخلفاء كانوا يعنون به عنايتهم بالحديث ، وأن كتباً ألفت في هذا الباب فقدت مأسوفاً عليها كما فقدت أكثر الكتب التي ألفت في الحديث في العهد الأموي ..."(٣)

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة وجود أشياخ ورواة متضلعين بأنساب ومآثر قبائلهم ، ووجود كتب تحوي أنساباً وشعراً وربما أخباراً لبعض القبائل . وإن هذه الكتب جُمعت من قبل الرواة ولكنها كانت تعتبر مُلكاًمشتركاً للقبيلة .

لاسيما هؤلاء الرواة كانت في كتبهم تتوفر مادة تاريخية للمؤرخين فيما بعد . وحوالي منتصف القرن الثاني للهجرة يوجد رواة " إخباريين " و " نسابيين " و " لغويين " علماً خلفوا مؤلفات ٤تاريخية أو ثروة من الروايات التاريخية . فقد جمع أبو عمرو إبن العلاء " ت١٥٤هـ . ٧٧٠م " وحماد الراوي " ت١٥٦هـ . ٧٧٤م" الشعر والأخبار ومواد عن الأنساب العربية قبل الاسلام من رواة القبائل ومن كتبها بالدرجة الأولى ، وإستعانوا بالكتابة لحفظ بعض نتاجهم(٥) . ففي مطلع القرن الثالث الهجري وصلت الدراسات التاريخية مرحلة أدت إلى ظهور المؤرخين الكبار في ذلك القرن . إذ إن الأخباريين واللغويين والنسابيين رسموا في الكتب التي ألفوها ، نطاق الدراسة التاريخية وشملت دراساتهم مختلف جوانب حقولها . وفي هذهِ الدراسات ظهرت فكرة وحدة التاريخ الاسلام ي ، وشهد القرن الثالث الهجري مرحلة جديدة عن التطور الثقافي فقد تجمعت مادة ضخمة من الروايات التاريخية التي رويت أو كتبت في أمصار مختلفة (٦).

فالتاريخ وليد علم الحديث ودفع جماعة آخرين إلى أن يقولوا " إن التاريخ وليد علم السيرة والمغازي " وقد ظهرت كتب السيرة والمغازي بعد كتب الحديث ، وهي باب من أبواب الحديث، ولذلك كان علم التاريخ وليد علم الحديث وحجتهم في ذلك إن كتب التاريخ إنما ظهرت بعد كتب الحديث ، وإن العرب كانوا في حال من البداوة لا تسمح لهم بالأنتباه إلى تدوين مدونات في التاريخ(٧) .

إلاّ إن الظاهرة البارزة على المؤرخين القدماء أن أغلبهم كانوا من أصحاب الحديث فكانوا يتبعون في تدوينهم وفي معالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين المبني على الإسناد ، وقد جرح جماعة من المحدثين قسماً من أصحاب التواريخ مثل أبن إسحاق لأنهُ تساهل في الأسانيد(٨) . ولتعريف المنهج وأنواعهِ نستطيع القول : هو مجموعة العمليات الأستدلالية التي تستخدم في حل مشكلات العلم ، وبناء العلم نفسه في مرحلة ما من تاريخهِ .وهو مايعنى بالنسبة لهذا البحث أن مناهج البحث التاريخي تتطور في كل مرحلة من مراحل تطور علم التاريخ نفسه ، ومن ثم فإن هناك علاقة جدلية بين بنية العلم المعرفية ومناهج البحث في هذا العلم بحيث تناسب مناهج البحث المرحلة التاريخية في تطور العلم من جهة ، كما إنها تساعد على الأنتقال لمرحلة أخرى بمناهج جديدة من ناحية ثانية(٩) .

والمنهج التاريخي أو مايسمى بالمنهج الوثائقي . هو دراسة ماتركهُ لنا الماضي من آثار أياً كان نوع هذهِ الآثار كالنقوش ، والأصول ، والوثائق ، والمراسلات المستخرجة من الدواوين ودور الأرشيف .

والمنهج الذي سلكهُ المؤرخ العربي يمتاز بالدقة والحذر ، في نقد الروايات من خلال السند " المورد " وتدوين الاحداث في ضوء المنهج ، والمنهج العمودي(١٠) .

وفضلاً عن ذلك فالمنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم النظرية . وتبعاً لأختلاف هذهِ العلوم ، تختلف المناهج ، وترد إلى ثلاثة أنواع من المناهج وهي : منهج

الأستدلال ، ومنهج التجريب ، ومنهج الأسترداد الخاص بالعلوم الأخلاقية أو التاريخية(١١)فالنسبة للمنهج الأستردادي وهو يتعلق بعلم التاريخ ، فالتاريخ الذي يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة وإلى الأبد ، بينما يتكون العلم من حقائق قابلة دائماً لأن تعود ، وماذلك إلا لأن التاريخ يقوم على الزمان ، وأول خاصية من خصائص الزمان عدم قابلية

الإعادة لأن الصفة الرئيسية للزمان هي الأتجاه ، والأتجاه يقتضي السير قدماً دون تراجع أو تخلف أو تكرار(١٢) .

وكما ذكرنا لايمكن أن يقوم التاريخ إلا على أساس الوثائق أي إن الخطوة الأولى في المنهج التاريخي هي خطوة البحث عن الوثائق .وبعدها تتم الخطوة الحقيقية في المنهج التاريخي وهي خطوة النقد .فالنقد التاريخي ينقسم إلى : النقد الخارجي ، والنقد الباطني(١٣) .

والمنهج البحث التاريخي يُعرف بأنهُ الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التأريخية ، كأساس لفهم المشاكل المعاصرة والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل(١٤) .

إلاّ إنهُ ظهر المنهج في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فسمي بالمنهج التاريخي ، ويعتمد هذا المنهج في تعاملهِ مع العملية الأدبية وهي " النص ، المبدع ، المتلقي " على فهمهِ هذهِ العملية على إنها واقعة تاريخية لها ظروفها وأسبابها وعلاقتها مع المحيط الذي ولدت فيهِ.(١٥)

ثانيا : جواد علي ومدرسة التاريخ العراقية

إن دراسة المنهجية التاريخية في العراق من الموضوعات ذات الأهمية ليس للباحثين والدارسين فحسب بل للجمهور على حدِ سواء ، فالمعرفة التأريخية ضرورة من ضرورات الثقافة الجماهيرية(١٦) .

إن مدرسة العراق التاريخية جزء لايتجزأ عن الكتابة التاريخية للأمة ، تؤثر فيها وتتأثر بها ، بل هي النواة الحقيقية لهذهِ المدرسة القومية(١٧) . فكان ضمن عناصر هذهِ المدرسة هم المؤرخين والأكاديميين الذين حازوا على شهادات عليا متخصصة في مجال التاريخ ، نالها أغلبهم من الغرب " أوربا وأمريكا " وهذهِ شكلت النواة الرئيسة لمدرسة التاريخ العراقية سواء عبر مصنفاتها المتنوعة أو تأسيسها في ميدان تأهيل جيل من الباحثين العراقيين والأشراف عليهم في الداخل(١٨) . لذا صنف جيل الدكتور جواد علي إنهُ ينتمي إلى حقبة التاريخ المعاصر بعد الحرب العالمية الأولى فأن الجيل السابق لهُ ينتمي إلى العهد العثماني الأخير في المدة الواقعة بين منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين ، فالتقارب الزماني وتداخل شخصياتهِ عبر إشتراك بعضهم في تأثيرات البيئة المحيطة ، والأهم من ذلك أنهم مثلوا التقاليد التأريخية المحلية قبل إمتزاجها أو تأثرها بالمناهج الغربية التي كثيراً

ما تأطرت بها أعمال هذا الجيل من الأكاديميين هذهِ كلها عوامل تسهم في التعرف على التحولات الحادثة في الكتابة التأريخية العراقية(١٩) .

وقد تلقى جيل الدكتور جواد علي تعليمهُ وكون فكرته التاريخية في المدارس الغربية نفسها التي قفزت قفزات نوعية على مستوى المنهج والرؤية في التعاطي مع علم التاريخ . فالفارق يبدو عميقاً في مديات الأستيعاب والتشرب بالحداثة التاريخية فالمحيط والوسط قد آثر كثيراً على تلك الأساليب وجعل منها مطابقة إلى حدٍ كبير عند إنتقال شخوصها وتأسيسهم الرسمي لدراسة التاريخ وفروعهِ المتشعبة(٢٠)

يبدو إن التطور الأهم تمثل في نوعية المؤلفات والكتابات التاريخية التي أخذت مدرسة التاريخ العراقية في تداولها وتعاطيها مقارنة بمدرسة التاريخ المصرية التي تُعد أولى المدارس العربية التي أخذت بالتقاليد الحديثة العصرية في الكتابة التاريخية .

إن المدرسة العراقية المعاصرة عند شروعها الأول على الرغم من موازنتها وتماثلها للمدرسة المصرية كانت أكبر تخصصاً وتقيداً من سابقتها ولاسيما بين ثلاث مؤرخين متزامنين مرحلياً وهم " جواد علي ، وعبد العزيز الدوري ، وصالح أحمد العلي " وهم شكلوا أركان المدرسة العراقية المعاصرة . فأن مشروعهم يسير بأتجاه كتابة التاريخ الاسلام ي على أساس التخصص والمعاينة الدقيقة لمراحل التاريخ الاسلام ي ، ويبدو إن السياق التاريخي للمرحلة والتراكم الذي إستقتهُ من المدرسة المصرية في التجارب السابقة كانت عوناً في إبراز هذا التخصص(٢١)

لذا إن ملامح المدرسة التاريخية الألمانية واضحة على أسلوب " الدكتور جواد علي " في الكتابة التاريخية ، وهذا مرتبط بأنفتاحهِ الأول على المؤرخين الألمان وتتلمذه وتأثره في كثير من معاني التاريخ بمدرستهم(٢٢) .

بينما أسلوب الدكتورين " عبد العزيز الدوري وصالح أحمد العلي " إنموذجين أكثر تقارباً وذلك يرجع إلى الأستشراق البريطاني بفعل إكمالهم للدراسة العليا أو إطلاعهم على منجزها وخصوصية طريقتها وتوجه في البحث التاريخي(٢٣) . لذا تعيش المدرسة العراقية تمايز داخلياً ليس على مستوى الموضوعات فحسب وإنما في الرؤية وتحديد المسار ذي النبرة التخصصية العميقة ، من خلال مواضيع الدكتوراه لهؤلاء الأعمدة الاكاديميين فموضوع الدكتور جواد علي " الأمام المهدي والسفراء الأربعة عند الشيعة الأثنى عشرية " و " تاريخ

العراق الأقتصادي في القرن الرابع الهجري " للدكتورعبد العزيز الدوري و " الحياة الأجتماعية والأقتصادية في البصرة " للدكتور صالح أحمد العلي . فالمشترك العام بينهم هو " العراق " إلا إن هذهِ الدراسات المتكونة من دراسة التاريخ للجانب " الديني والأقتصادي والأجتماعي " شكل مجتمعاً مدرسة تكاملية عمودية(٢٤) .

لاسيما الدراسات اللاحقة التي أنجزوها هؤلاء الأكاديميين أصبح أكثر تخصصية في المعالجة من خلال الأضافات التي أضافوها فالدكتور عبد العزيز الدوري إختص بالتاريخ الثقافي والأقتصادي للتاريخ الاسلام ي والعربي في مجمل ماأنجزهُ من الدراسات والبحوث منذُ منتصف الأربعينيات في القرن المنصرم . بينما كان منحى الدكتور " صالح أحمد العلي " مُخالفاً لذلك الذي تناول المدن الاسلام ية الرئيسة وأفرد لكل منها دراسة مستقلة من أجل إستيعاب التاريخ العربي والاسلام ي(٢٥) .

لكن يبدو أن المشروع الأكثر طموحاً لمدرسة التاريخ العراقية هو ماخاض به الدكتور جواد علي من خلال العملين المتكاملين الشاملين . فكانت موسوعة التاريخ قبل الاسلام هو العمل الأضخم في مجالهِ وطريقة طرحهِ عربياً وإستشراقياً فكان تاريخ العرب قبل الاسلام هي المقدمة الأولى لانطلاقة الباحثين عند دراستهم التاريخ الاسلام ي ، فالطموح في هذا يسعى إلى تدوين دراسة تستوعب التاريخ العربي القديم والاسلام ي وذلك لأجل رفع من شأن المدرسة العراقية التاريخية(٢٦) .

وزيادةً إلى ذلك كان منظور الدكتور جواد علي لعمل بعض من المستشرقين تكون محكومة بالتثبيت بالغريب والغامض من الأخبار التأريخية ، ولاسيما عند دراسة السيرة النبوية ، فقد إعتمدوا في مواضيع مفصلية فيها روايات متأخرة غير موثوقة أو مسندة إسناداً متواصلاً يرجعها إلى الروايات المبكرة(٢٧) .

وقد ركز على الجهود السلبية اللاموضوعية وهذا واضح من خلال كتابهِ " تاريخ العرب قبل الاسلام " أي إن جهد الدكتور جواد علي منصباً نحو نقد الأستشراق السلبي لكنهُ بين تضاعيف

ذلك النقد إستعراض بعض الأسهامات العلمية المحايدة التي يرشح من خلالها إنهُ قد ثمن تلك الجهود وأستعان بها على نقد الارآء الأستشراقية(٢٨) . وقد كانت هذهِ قراءة الدكتور جواد علي للأستشراق في تناول التاريخ العربي القديم والاسلام ي .

ثالثاً . سيرة الدكتور جواد علي

هو من الشخصيات العلمية الأكاديمية العراقية المعروفة البارزة ، و مؤرخ مشهور كان لهُ مساهمة مهمة في البحث التاريخي عن العرب في عصر ماقبل الاسلام .

. إسمهُ : جواد بن محمد علي العقيلي .

ولد المؤرخ في مدينة الكاظمية ببغداد سنة ١٩٠٧م ،لم ينحدر إلى أسرة أرستقراطية ، وأنما كان ينتمي إلى العامة من أهالي الكاظمية ، في مدينة بغداد وهي مدينة ذات طابع علمي وديني معروف ، ولم توجد إشارة إلى أن أحد من أفراد أسرتهِ ، أو حتى أبيهِ كان بارزاً في ميدان من الميادين الفكرية أو الأجتماعية(٢٩) . نشأ مؤرخنا في مدينة الكاظمية فمحيطها الديني والعلمي التي لهُ الآثر الكبير على شخصيتهِ ، والأكثر أهمية في ذلك قد ترافق مع دعوات إصلاحية مؤثرة إنطلقت من علماء ومفكري تلك المدينة قصدت إصلاح النظام التعليمي والدراسي سعياً إلى جعلهِ أكثر قابلية على مواكبة التطورات العصرية ، ولاسيما في جهود هبة الدين الشهرستاني ، لتأسيس بعض المدارس الحديثة ،وإصدار مجلة عصرية فكرية هي . مجلة المعلم . فكان المؤرخ جواد علي في مستهل حياتهِ العلمية واقعاً تحت ظل ذلك التغيير والتحول الفكري المهم التي كانت تمور بهِ تلك المدينة ، وإن تأثيرهُ بالدعوات الأصلاحية تجسد عند سفرهِ إلى المانيا للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلام ي . فقد ظل يتبادل الرسائل والمشورات العلمية مع بعض الأصلاحيين والمتنورين في موضوعات إرتبطت بمادتهِ التاريخية والمنهج الواجب إتباعهِ عند الخوض في مثل هذهِ الموضوعات . فضلاً عن أساتذتهِ في جامعة هامبورغ في المانيا الذين ساهموا في بنائهِ الفكري والمعرفي من خلال المشورات العلمية(٣٠)

درس في الأعظمية في كلية الإمام الأعظم أبي حنيفة ثم أكمل دراستهُ في دار المعلمين العالية ، تخرج منها سنة ١٩٣١م فعين مدرساً في إحدى المدارس الثانوية ، حصل بعدها على بعثة دراسية في المانيا فالتحق بجامعة " هامبورغ" لدراسة العلوم التاريخية ، وذلك إن وزارة المعارف أنذاك لها برنامج طموح ومنهج في تأسيس قاعدة علمية رصينة في علم التاريخ ،

تعتمد على المنجزات الغربية في مجال التأريخ الاسلام ي وطرائق تدوينه وبحثه ، فقد قضى مدة طويلة في ألمانيا أمتدت من سنة ١٩٣٣ . ١٩٣٩م (٣١)،وقد نال على شهادة

آخرى أثناء مدة إقامتهِ في المانيا وهي دراسة الفلسفة في جامعة برلين ، ويظهرذلك في جوابه لمجلس الخدمة العامة المعني بمعادلة الشهادات وتقديمها فيذكر عن نفسهِ أني نلت " شهادة باللغة اللاتينية صادرة من جامعة برلين باعتباري طالباً رسمياً مثبتاً في قسم الفلسفة لامستمعاً أو طالباً غير رسمي وغير مثبت "(٣٢) ثم عاد بعدها إلى العراق ، وقد وافق عودتهِ قيام ثورة مايس ١٩٤١م ونشوب الحرب العراقية البريطانية فانضم إلى الثورة ، وبعد فشلها تم إعتقالهِ في معتقل الفاو(٣٣) .

ويبدو أن فكرة التجديد والتواصل ، والبحث العلمي مع المحافل والجامعات العالمية المرموقة فبقيت فاعلة عند جواد علي ، بعد عودته من ألمانيا ، التي أسهم فيها إلى حدٍ كبير رؤية وخلفية المدرسة الألمانية في الكتابة التاريخية وقد ساهم في المتغيرات المفصلية في السياسة العالمية وتحول مراكز القوى بعد الحرب العالمية الثانية(٣٤) .

تزوج الدكتور جواد في المانيا بتاريخ ٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٢م من السيدة " زهرة طاهر محمد عارف العبيدي " وقد أنجبت لهُ ولد وأبنتان ورافقتهُ في جميع سفراتهِ العلمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لجامعة هارفورد ١٩٥٧ ، وإلى المملكة المتحدة في بريطانيا لمعهد الدراسات الشرقية سنة ١٩٦١م(٣٥) . أي إنهُ تلقى دعوة من مركزين مهمين في بريطانيا لقضاء سنة بحثية فيها ، الأولى من إدارة المتحف البريطاني ، وعبر المجلس الثقافي البريطاني في ٢٣ أغسطس يُعلن فيها رغبتهِ في إقامة مشاريع مشتركة(٣٦) ، والثانية كان قد تلقاها من مدرسة الدراسات الشرقية في جامعة لندن ، بتاريخ في ١٥/ حزيران / ١٩٦١ وقد أوضح الأغراض والدوافع الكامنة وراء تلك الرغبة بقولهِ " ذلك تمكيناً لي من دراسة النصوص الجاهلية الكثيرة التي عثر عليها حديثاً والتي لم تنشر حتى الآن والتي أقرأها أنا وتخصصت بها . وتمكيناً لي من مراجعة الموارد التأريخية اليونانية ، والسريانية ، والنبطية ، والحبشية ، وهي موارد نادرة غير موجودة في العراق "(٣٧)

وقد كان الدكتور جواد علي يشخص عدم مقدرة الكثير من المستشرقين مع علمهم وباعهم الطويل على إستيعاب التأريخ الشرقي وهضمهِ ، فيذكر وقد " أدرك المستشرقون هذا النقص فأشاروا إلى ضرورة مبادرة العرب أنفسهم للتأليف في تأريخهم ونشرهِ باللغات الغربية ولاسيما الإنكليزية ، كما أشاروا إلى إرسال محاضرين عرب إلى الجامعات الغربية لإلقاء محاضرات فيها عن تأريخ العرب والاسلام ... "(٣٨)

رابعاً . الوظائف التي تقلدها .

تقلد الدكتور جواد علي مناصب عدة :

. بعد عودة الدكتور جواد علي من الدراسة في ألمانيا أدى خدمة الأحتياط بوصفهِ ضابطاً في الجيش العراقي ، ثُم أُعيد تعينه في نهاية سنة ١٩٤٠ مدرساً على الملاك الثانوي ، وهو حامل الدكتوراه ومنذُ ذلك الحين تدرج في بعض المناصب داخل وزارة المعارف ، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي مجتمعتين . وعُين مديراً للأمتحانات بمديرية التعليم الثانوي والمهني العامة (٣٩).

. عُين قبل إطلاق سراحهِ من السجن ويعود إلى وظيفتهِ في وزارة المعارف ، " أمين سر لجنة التأليف والترجمة والنشر " وهي كانت النواة للمجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧م(٤٠) .

. تقلد منصب السكرتير " الأمين العام " للمجمع العلمي العراقي الذي كان أبرز مؤسسيه وعناصرهِ الفاعلة قاطبةً ،جاء ذلك إثر صدور أمر الإرادة الملكية المرقمة ٧٤ والمؤرخة في ١٨ / ١ / ١٩٤٨ وهي الوظيفة الأكثر أهمية وتأثيراً في مسيرة الدكتور جواد علي(٤١)ويقول حول ذلك " إختمرت فكرة إيجاد مجمع علمي أوكلوا إلى لجنة وضع مشروع قانونه تتألف مني ويترأس المرحوم محمد رضا الشبيبي والعلامة الآثري وأنا فوضعنا قانونه على أن يكون مشابهاً لمجمعي دمشق والقاهرة وأختير الشبيبي رئيساً لهُ "(٤٢) ، ولعلمهِ الغزير أختير عضواً مراسلاً ومؤازراً في مجاميع آخرى عربية وعالمية .كعضوية مجمع القاهرة ١٩٥٢ ، ومجمع اللغة العربية في دمشق ، والمجمع الملكي الأردني ، وعضويتهِ في متحف برلين المعني بالتأريخ . وللمكانة العلمية والشهرة الواسعة التي نالها الدكتور جواد علي في داخل العراق وخارجهِ ، منذُ مطلع الخمسينيات ، رشحهُ المجمع العلمي العراقي بعد طلب وزارة الخارجية في ترشيح أبرز الشخصيات العلمية الأكاديمية العراقية من أجل إشتراكها في الدعوات والمناسبات الرسمية التي تقيمها وزارة الخارجية مع السلك الدبلوماسي والشخصيات الأجنبية المهمة الوافدة إلى العراق(٤٣) .

. مارس الدكتور جواد التدريس في قسم التاريخ بكلية التربية بجامعة بغداد منذُ الخمسينات من القرن العشرين ، وقد تدرج في المناصب العلمية في كلية التربية من مدرس ، وأستاذ مساعد ، فأستاذ .

. وفي سنة ١٩٥٧. ١٩٥٨ عُين أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد الأمريكية ، أما عضويتهِ في المجمع العلمي العراقي وسكرتاريته تم فصلهِ عن عضويتهِ بتاريخ ٤ / ٤ / ١٩٦٢ بحجة تغيبهِ عن الجلسات بشكل متناوب إلا السبب الرئيسي هي طبيعة التحولات السياسية في العراق وإنتشار الأفكار الثورية " الريديكالية " والتقدمية ، المعادية لكل ماهو عربي بعد حوادث ١٩٥٨في العراق مما أثر على طبيعة المراكز البحثية وطبيعة الأشخاص القائمين عليها(٤٤) .

. عندما تقاعد الدكتور جواد علي منحتهُ جامعة بغداد لقب فخري " أستاذ متمرس " بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٧٣وهو أعلى لقب يُمنح لمفكر عراقي(٤٥).وذلك لمكانتهِ ومنزلتهِ العلمية التي تمتع بها.

كان مؤرخنا الدكتور جواد علي يتقن لغات عدة وهي " العربية ، والأنكليزية ، والألمانية "(٤٦) وإن السنوات التي قضاها كانت حافلة بالتكريمات ، فقد منح في سنة ١٩٥٣ وبحسب الإرادة الملكية المرقمة ٦٤٢، والمؤرخة في ٨/ ٧ / ١٩٥٣ وسام الرافدين مع كوكبة من منتسبي المراكز العلمية والبحثية العراقية مثل الدكتور محمد مهدي البصير ، وطه باقر ، وفؤاد سفر ، وكوركيس عواد(٤٧) .

خامساً . مؤلفاتهِ :

للمكانة العلمية التي تمتع بها مؤرخنا إشتهر بمؤلفات علمية رصينة وأبحاث قيمة التي إكسبتهُ شهرة ومنزلة رفيعة ، فقد نشر العديد من البحوث قاربت " ٥٠ " بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ولهُ مقالات عدة في مجلات آخرى . ونتيجة لذلك فقد كُرم وحصل على أوسمة " كوسام المعارف اللبناني ، ووسام المؤرخ العربي " .

شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية ومنها مؤتمرات المستشرقين التي كانت تُعقد في المانيا(٤٨) .

أما مؤلفاتهِ من الكتب هي (٤٩):

. كتاب التاريخ العام : نشر عام ١٩٢٧.

. كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : نال الدكتور جواد علي شُهرة ومعرفة واسعة بين أوساط الباحثين وصارت علامة فارقة عُرف بوساطتها ، ترجع إلى موسوعتهُ الشهيرة "المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام " المكونة من " عشرة أجزاء " وعند

إتمامهِ لهذهِ الموسوعة يقول " وبعد فإني أحمد الله الذي مكنني من تحقيق الفكرة التي تعشقتها والمشروع الذي وضعت أسسهُ وتفاصيلهُ منذُ أمد ، مشروع تدوين تاريخ العرب قبل الاسلام .. وإني لأشعر والله بسعادة عظيمة لأني قد أديت بعض ما عليّ وساهمت في هذا الواجب القومي هو في رأيي من أعظم الواجبات "(٥٠) وطبعت هذهِ الموسوعة في بيروت ، ١٩٤٧ و ١٩٦٨ ، بينما كانت الطبعة الأولى للموسوعة في مطبعة دار العلم للملايين في عام ١٩٧١ في بيروت . وقد لاقى كتاب المفصل تثميناً لجهدهِ من قبل مستشرق ألماني بقولهِ " إن أكبر الإفادات من بحوث الألمان في التاريخ العربي القديم تمت على يد الدكتور جواد علي صاحب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام في عشر مجلدات ، فقد رجع الرجل إلى ستة وعشرين كتاباً ألمانياً ، وحوالي الأربعمائة مقال للباحثين الألمان من يوركهارت وغلازر وإلى هومل وماريا هوفنر ورود دوكاناكس والتهايم ، وما يزال الذين يؤلفون الكتب المدرسية للجامعات عن تاريخ العرب القديم . يرجعون إلى دراسات هؤلاء العلماء وعبر كتاب جواد علي دونما ذكر لهُ في كثير من الأحيان "(٥١)

١. .كتاب أصنام العرب ، طبع في بغداد ١٩٦٧.
٢. .كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام " ثمانية مجلدات " طبعها المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٠.
٣. .كتاب تاريخ الصلاة في الاسلام ، طبع في بغداد ، ١٩٦٨.
٤. .كتاب تاريخ العرب في الاسلام ، طبع في بيروت١٩٦٩ .
٥. . خارطة الادريسي المعروفة " بصورة الارض" مع الدكتور أحمد سوسة ، والدكتور بهجت الآثري ، طبعت سنة ١٩٥١.
٦. .كتاب المهدي وسفراؤهُ الاربعة وهي إطروحة الدكتوراه في جامعة هامبورغ ١٩٣٨.
٧. وهناك بعض الكتب لم تكن منشورة منها :
٨. .كتاب معجم ألفاظ المسند .
٩. .كتاب المفصل في تاريخ العرب في الاسلام .

سادساً : وفاتهِ

توفي العلامة والمؤرخ الدكتور جواد علي ظهر السبت ٢٦/ ٩/ ١٩٨٧ بعد مرض عضال وبوفاتهِ خسر البحث العلمي علماً من أعلامها الأجلاء وفقد المجمع ركيزة من دعائمهِ بما أسهم من أعمال علمية رصينة (٥٢).

سابعاً : منهجهُ التاريخي

يُعد الدكتور جواد علي أحد أهم المؤرخين العرب في العصر الحديث ، وكأهم مؤرخ لتاريخ العرب قبل الاسلام والذي إستمد مكانتهُ من آرائهِ العلمية الموضوعية التي تبتعد عن السّرد والسطحية والتطرف والغلو ، فلم يكن منحازاً إلى مذهب أو مائلاً إلى طائفة ، ولم يرضخ لمدرسة معينة من المدارس التي تُفسّر التاريخ وفقاً لمذهبها وعقيدتها ، وإنهُ مؤرخاً متميزاً متأثراً بالمدرسة الألمانية تأثراً كبيراً(٥٣) .

حول رأي مؤرخنا في التاريخ يقول " التاريخ إنهُ عبارة عن وجهة نظر إنسان لهذا فكل يفسر الحادث حسب رأيهِ إن التاريخ ليس رياضيات . التاريخ آراء التاريخ ليس حقيقة رياضية لأن كلاً يرى في التاريخ مايريد أن يراهُ ويبحث عنهُ ، ومن هنا أيضاً فأن التاريخ ليس بعلم ، العلم يختلف . إنهُ قائم على تجربة ولهُ قواعد ولهُ منطق وقوانين ، وليس فيهِ إختلاف . لكن في التاريخ هناك وجهة نظر ، ولذلك لايمكن أن نسميهِ علماً نستطيع أن نقول إنهُ مثل الأدب ، ومثل الشعر ، إنهُ من هذهِ الفصيلة المسماة " بالمعرفة الأنسانية " هذا أحسن مانُعرف بهِ التاريخ"(٥٤).

والكلام عن التأريخ ومنهجيتهِ لايأخذ جدية فعلية ، مالم تسبقهُ تجربة واقعية ومخاض فعلي في الكتابة وأشكالها وإطلاع عميق على صنوف المؤرخين وميولهم المختلفة ، فمن غير المتوقع أن يكون للمرء وجهة نظر راسخة وثابتة في هذا الميدان مالم يقع مرحلة ويتعاطى مع تجارب متنوعة ، ويتجلى هذا الوضوح عن آخر المشاريع المهمة التي قدمها جواد علي ، وعلى الخصوص في كتابة تاريخ العرب قبل الاسلام (٥٥).

ومن حيث نظرة المؤرخ للحدث التاريخي يؤكد الدكتور جواد علي " إن وظيفة المؤرخ الحق هو إعادة تشكيل الحدث التاريخي كما وقع بالضبط ومن ثم كان يدرك أن تدخل العواطف وتحكم المذهبية العقائدية من أخطر الآفات التي تواجه المؤرخ "(٥٦) ويقول أيضاً " يقتضي على المؤرخ ليكون تاريخه علمياً منزهاً تجنيب نفسه المذهبية المتزمتة وعليه نقد

الروايات نقداً علمياً محايداً ... ثم يقوم بربط الأخبار بعضها ببعض وشد أجزائها شداً محكماً بأسلوب يتناول كل الوجود وأعتبار التاريخ تاريخ بشر ، وهو حكم سياسة والسياسة في كل وقت ومكان ولن يختلف فيها إنسان عن إنسان "(٥٧)

ومن رأيهِ أيضاً " أن يكون المؤرخ كالمصور يحاول جهد إمكانهِ وقدر طاقتهِ وعلمهِ وصف الشيء الذي يريد أن يحكيهِ ويدونهُ وصفاً صادقاً مستمداً من المنابع والموارد الأساسية وأن يبذل أقصى مالديهِ من جهد للوصول إلى الحادث الذي يبحث فيهِ ، وأن يصل إلى روحهِ وسببه وأن يجعل نفسه كأنه واحد من حضوره وشهوده ومن رجاله وعندئذ يحكى ماوصل وجده وإدراكه إليه وما إستنتجه منه "(٥٨)

ويسعى جواد علي إلى تشخيصهِ" أن على المهتم بصناعة التاريخ هو أن يقترب في عملهِ وأدواتهِ البحثية من طرائق أصحاب العلوم الصرفة ، في بحثهم وتحققهم القائم على أسس رياضية ومعادلات محكمة في نتائجها ، ومآلاتها النهائية ، وهذا مايتطلب فطنة عالية وقدرة كبيرة على الأستشراق والتمييز والفصل بين المتلابسات من الروايات والأحداث التأريخية المتشابكة لذا يرى على المؤرخ يجب أنهُ كرجل المختبر ، ذو إستعداد عظيم في التحليل ، وذو حظ عظيم في العلم في المواد التي يريد تحليلها ، وذو ذكاء خارق يمكنه من الأستنباط والأستنتاج ، ومن إجراء المقابلات والمطابقات والمفارقات والمقارنات لتكون أحكامه منطقية

سليمة وآراء معقولة مقبولة ، وإلا صار قاصاً من القصاص ، ومؤرخاً من الطراز القديم الذي يرى أن التاريخ حفظ ورواية وتسجيل مايرويه الناس ، فهو يسجل كل مايسمعهُ ويدون كل ما يقرأ ويعثر عليهِ من الموارد "(٥٩)

وعند جواد علي يجب أن تتوفر في المؤرخ أبعاد ثلاثية تكاملية تركز على عناصر الإحاطة بالموارد والسير والحيادية النسبية هذهِ العناصر تشكل لديهِ مقوماً رئيسياً من مقومات التأريخ(٦٠) .

لذا إن موضع المؤرخ من الحدث وتعاطيه لهُ تأثير عميق عند جواد علي ، فتحديد ميل المؤرخ وتوجهه بأنهُ جزء من الحدث مشارك فيه أو إنهُ خصم صاحب رأي وفكرة إستقرت في رأيهِ ، فيجد جواد علي من الأسباب مايؤيدها ويقويها ويجعل من ذلك سبباً رئيسياً من أسباب القصدية أو القبلية التي تحكم أعمال بعض المؤرخين فتؤثر على نظرتهم وتوجههم العلمي ، ومن هنا نجد بعض المؤرخين والكُتاب يرسمون القصد في أدمغتهم ويضعون

الأهداف في رؤيتهم قبل الشروع في الكتاب . فإذا كتبوا عمدوا إلى مايروقهم من خبر أو أخبار ومايلائم قصدهم من رواية أو روايات إستندوا إليها ، وبنوا حكمهم على ذلك ، وهو في نظري توجيه ودعاية يراد منهُ هدف خاص لابحث غايتهُ البحث(٦١) .

وقد كان رأي جواد علي بخلاف كثير من المختصين أن يمارس المؤرخ دور القاضي في إصدار الأحكام والآراء لنقص الأدلة ، وعدم إكتمالها ، إعتماداً على مقايسة الحاضر على الماضي وما فيهِ من إشكاليات حقيقة ، في تفسير الحدث المعاصر وتحليله ، وأكره شيء عندي أن ينصب المؤرخ نفسه قاضياً في الماضين وهو يعلم إن التأريخ لايستند إلى بديهيات مُسلم لها ، ولا إلى أرقام لايمكن أن يُجادل عليها وإن الحادث ليقع في الحاضر ثم ترى الناس ذاهب في تفسيرهِ وفي وصفهِ ، فإذا كان هذا شأن الحاضر ، فكيف يكون شأن الماضين(٦٢) .

لذا ذكر في مقدمة كتابهِ المفصل تاريخ العرب قبل الاسلام " ... ألاّأنصب نفسي حاكماً تكون وظيفة إصدار أحكام قاطعة ، وإبداء آراء في حوادث تاريخية مضى زمن طويل عليها ، بل أكتفي بوصف الحادث وتحليله كما يبدو لي . وقد لاتعجب طريقتي هذهِ كثيراً من القراء . وعذري أني لاأكتب لإرضاء الناس . ولا أدون لشراء العواطف . وإنما أكتب ماأعتقدهُ وآراهُ بحسب علمي وتحقيقي ، والرأي عندي أن التأريخ تحليل ووصف لمِا وقع ويقع ، وعلى المؤرخ أن يجهد نفسهُ كل الإجهاد للإحاطة بهِ . بالتفتيش من كل ماورد عنهُ ومناقشة ذلك مناقشة تمحيص ونقد عميقين ، ثُم تدوين مايتوصل إليهِ بجدهِ وإجتهادهِ تدويناً صادقاً على نحو ما ظهر لهُ وماشعر بهِ ، متجنباً إبداء الأحكام والآراء الشخصية القاطعة على قدر الأستطاعة(٦٣) .

وقد أشار في مقدمة كتاب " المفصل " حول إعتقادهِ بأن العمل الفردي أفضل من نظيرهِ المؤسسي بأن العمل الفردي في تاليف الكتاب وما يلاقيه المؤلف من معانات دون أن يلتفت إليه أحدفأن الولع بالتأليف هو الذي يتحكم بالأنسان للاقبال عليه فيقول حول موسوعيتهِ " هما عمل فرد عليه جمع المادة بنفسهِ ، والسهر في تحريرها ، وعليه الأنفاق من مالهِ الخاص على شراء موارد غير متيسّرة في بلادهِ أو ليس في إستطاعتهِ مراجعتها بسبب القيود المفروضة على إعارة الكتب أو لأعتبارات آخرى ، ثم البحث على ناشر يوافق على نشر كتاب ، ثم عليه تصحيح المسودات بنفسهِ بعد نجاحهِ في الحصول على ناشر إلى غير

ذلك "(٦٤) وعلى الرغم من مشاق الدكتور جواد علي بالعمل الفردي إلاّ إنهُ يُدرك دورهُ ويرى إن تاريخنا العربي يجب أن نُعنى بدراستهِ لأن مع الأسف أن نرى الغربيين يُعنون بتأريخ عصر ماقبل الاسلام ويحدّون في البحث عنهُ والكشف عن مخلفاتهِ وتركاته في باطن الأرض ، ونشره بلغاتهم ، ولا نرى حكوماتنا العربية ولاسيما حكومات الجزيرة العربية إلا منصرفة "(٦٥)

ويبدو أن من جملة الأهداف التي كان جواد علي قد سعى إليها ضمن فكرة التفصيل ، إنهُ بعد إطلاعهِ على المنجز العربي والأستشراقي في ميدان دراسات تاريخ العرب قبل الاسلام ، رأى أن يكون كتابهُ مستوفياً لمعطيات تلك الأبحاث مع تحقيق مبدأ أن يكون أوسعها حتى ظهور مادة أولية جديدة ، ويبدو أن الكتاب وحتى المنظور القريب قد إستوعب بمطالبهِ ومادتهِ العلمية مجمل الدراسات في ميدان العرب قبل الاسلام (٦٦)

أي إن المؤرخ الدكتور جواد علي تأثر بالمؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكه الذي أسس مدرسة التاريخ الحديث المدعوم بمصادر التاريخ ، تقول بأن على المؤرخ أن يعيد تشكيل التاريخ كما حدث بالضبط . أي إنهُ يتجاوز التأثير بالهويات الفرعية القائمة على أُسس مذهبية ، أو عرقية ، أو لأي نزعة آخرى ، الأمر الذي دفعهُ عندما كان طالباً في ألمانيا إلى معارضة المنطق النازي في تفسير وقراءة التأريخ الذي يقوم على تفوق العرق الجرماني على ماسواه ، إذ إن عقيدة النازي التي لاتؤمن إلا باقوالها فقط(٦٧) . لقد إستطاع الدكتور أن يمتلك ناصية البحث العلمي بكل جدارة وإستحقاق لإتباعهِ منهج المدرسة الألمانية في البحث العلمي أولاً ولتمكنهِ من اللغات الآخرى ثانياً وهذا مكنهُ من إستيعاب جميع الدراسات السابقة في اللغتين الالمانية والانكليزية ولاسيما في مايتصل بتاريخ العرب قبل الاسلام وهي كثيرة جداً(٦٨) .

ويؤكد أيضاً في تفسيرهِ للتاريخ عدم الرضوخ لمدرسة من مدارس تفسير التاريخ بعينها ، لأن كل مدرسة لابد أن تكون متأثرة بديانتها ومذهبيتها العقائدية أو السياسية في التفسير ، ويقول على المؤرخ أن يكون وصافاً عالماً عادلاً(٦٩) .

وفضلاً عن ذلك حول أهمية وأعتزاز بالتاريخ العربي يحذر مؤرخنا من النظرة القسرية إلى تاريخنا ، ويؤكد أن العرب يمتلكون تاريخاً ثرياً وهم في غنى عن الزيادة في تاريخهم وتحميله ماليس منهُ ، ويحذر التحذير كله من تزوير الدول التاريخ لأجل غايات سياسية أو

عقائدية أو مذهبية وهو مايؤدي إلى شكوك تنتاب الناس في صحة هذا التاريخ وقيمتهِ العلمية . ومن ذلك :

فكرة مايسمى بإعادة كتابة التاريخ التي نادت بها بعض الدول والهيئات ، فيقرر الدكتور جواد علي إن مثل هذهِ الدعوات لم تنبع من فلسفة أصيلة مدروسة ، وإنما من ميول ومحاكاة ومحاباة وهي . في مجملها . تمثل إنعكاساً لتوجهات العصر وإخضاعاً لها . وهو أمر يتنافى مع البحث العلمي الرصين والخبرة العميقة الشاملة(٧٠) ، وقولهِ أيضاً " مازال التلفيق والتنميق جاريين في التاريخ ولاسيما في السياسات المذهبية ، وفي الأمور الشخصية وفي الحروب "(٧١)

وكذلك يسعى الموسوعي الدكتور جواد علي إلى تشخيصهِ هو أن على المتهم بصناعة التاريخ هو أن يقترب في عملهِ وأدواتهِ البحثية من طرائق أصحاب العلوم الصرفة ، في بحثهم وتحققهم القائم على أسس رياضية ومعادلات محكمة في نتائجها ، ومآلاتها النهائية ، وهذا مايتطلب فطنة عالية وقدرة كبيرة على الأستشراق والتمييز والفصل بين المتلابسات من الروايات والأحداث التاريخية المتشابكة لذا يرى أن على المؤرخ يجب أن يكون كرجل المختبر ، ذو إستعداد عظيم في التحليل ، وذو حظ عظيم في العلم في المواد التي يريد تحليلها ، وذو ذكاء خارق يمكنهُ من الأستنباط والأستنتاج ، ومن إجراء المقابلات والمطابقات والمفارقات والمقارنات لتكون أحكامهِ منطقية سليمة وآراء معقولة مقبولة ، وإلا صار قاصاً من القصاص ، ومؤرخاً من الطراز القديم الذي يرى أن التاريخ حفظ ورواية وتسجيل مايرويه الناس ، فهو يسجل كل مايسمعهُ ويدون كل ما يقرأه ويعثر عليهِ من موارده(٧٢) .

وحول المؤرخ المثالي التي شكلها الدكتور جواد علي تأخذ نمطين مختلفين من حيث التأثير الفعلي والجدي على صياغة رؤيتهِ الخاصة ، فبدأ بالمحيط الخارجي وتأثيراتهِ الملحة عليهِ "ويجب علينا الأعتراف أن هناك سلطاناً آخر يخضع المؤرخ في كثير من الأحيان إليهِ ، وهو سلطان الرأي العام ، فالمؤرخ مضطر يحكم مقامهِ بين مواطنيه أن يُراعي تصورهم وإلا عرض نفسهِ للمكروه من قول أو أذى ولهذا يضطر أن يمر بالقضايا الحساسة مراً خفيفاً ، أو دون نقد ولا إبداء رأي "(٧٣)

وحول النهج التاريخي الذي إتبعهُ الدكتور جواد علي كان نهجاً كما إتبعهُ المؤرخين الأوائل في ذكر المنهجية التي إتبعوها في كتاباتهم ، وذلك في مقدمة كتبهِ الشهيرة "كالمفصل"

و " تاريخ العرب في الاسلام " و" المهدي المنتظر " فيوضح على إن طريقتهِ في كتابة كتبهِ هي طريقة واحدة وهي " رصد الماضي كما رسخ في ذهني وأستقر في عقلي ونبت في فكري مع تقريب وتوضيح جهد الأمكان من غير زيادة عليهِ أو نقصان عليهِ وتجنب شديد من إبداء الآراء الشخصية ، وعرضه من غير تحزب أو تعصب ، أو إبداء رأي وحكم تاركاً أمر الأحكام إلى القراء ، يكونون آراهم كما يريدون ويشتهون وعلى النحو الذي توصل إليهِ إجتهادهم من قراءتهم للموضوع "(٧٤) وإن المنهج الذي إختطهُ لنفسهِ في كتابة التاريخ في كل مؤلفاتهِ يقول " أخذتُ منهجيتي في تدوين تاريخ العرب قبل الاسلام من رأي توصلت إليهِ من خلال مراجعتي لما كتبهُ العلماء والسياح عن جزيرة العرب قبل الاسلام وعن نتائج بحوثهم وإكتشافاتهم فيها .."(٧٥)

وزيادةً إلى ذلك إمتاز منهج جواد علي بتفردهِ في مجال إختصاصهِ إنهُ كان شاملاً وموسوعياً في بحثهِ ، وناقداً ومناقشاً لروايات المؤرخين الأوائل منهم والمتأخرين ، عرباً ومستشرقين .

وقد كان مؤرخنا الدكتور جواد علي يتنبه إلى مسألة مهمة لتناولهِ التأريخ ، فهو لايُشرع في البحث مباشرةً ، دون تعريف المصطلحات ، وما يتعلق بها كمصطلح " العرب " و " السامية " و" الجاهلية " وأسماء الأعلام وما يتصل بالعادات والتقاليد من مفاهيم كانت تُستعمل آنذاك في عصر ماقبل الاسلام ، وهذا بدورهِ يُسهل على القارىء تتبع السرد التأريخي جيداً .

وكذلك كان لغوياً وآثارياً فقد إتقن اللهجات العربية القديمة لأن لها علاقة بتاريخ العرب ماقبل الاسلام مؤكداً من كان يريد دراسة التأريخ والبحث فيهِ والتأليف ، لاسيما مايتصل بتأريخ العرب قبل الاسلام عليهِ أن يتقن اللغات القديمة ، علاوةً على ماتعلمه من السريانية والعبرية واليونانية ولغات لاتينية ، وذلك إن جهل المصادر التي تتعلق بهذا التأريخ يصبح متعسراً الكتابة بهذا الأختصاص(٧٦) . وإن إتقانهُ للغات الآخرى لقد ساعدهُ على تفحص موارد المؤرخين مع الأمم الآخرى قبل الاسلام ، تأثر بالموارد والمصادر المنقولة عنها ، فكان في كثير من الأحيان صورة لرؤية تلك الأمم إلى العرب والتأريخ المشترك معهم ، إلاّ إن مراجعة الدكتور جواد علي ونقدهِ لسرد التأريخ في كتب الطبري وأبن كثير وغيرهما ،

بتصحيح مسار الرواية التأريخية حول الحدث التأريخي العربي الذي حدث قبل الاسلام ، لذا يذكر إن المؤرخين المسلمين أخذوا " تأريخ الفرس من موارد

فارسية ، أما تأريخ الرومان واليونان فقد أخذوهُ من موارد نصرانية سريانية في الغالب ولكنهم أخذوهُ بقدر لم يتوسعوا في الطلب ، لذلك كان تأريخ الرومان واليونان مختصراً جداً وضعيفاً بالقياس إلى مادون عن تأريخ الفرس "(٧٧) في حين أهمل بعض المؤرخين والأخباريين المسلمين لبعض الروايات التأريخية المهمة معللاً ذلك بقولهِ " رأيي أن سببهُ الموارد الأصلية التي إعتمد عليها المؤرخون المسلمون والأخباريون وأخذوا منها وهي موارد فارسية الأصل متعصبة للفرس ، أو موارد عراقية ميالة لهم "(٧٨)

وفضلاً عن ذلك إنتقد الدكتور جواد علي أيضاً في كثير من مسائل وطروحات المستشرقين في دراسة تاريخ شبه الجزيرة العربية من خلال كتابهِ " المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام " أيّ لم يكن متوافقاً معهم كلياً(٧٩) ، هذا يدلل على إنهُ لم يكن مجرد ناقل بل كان يتناول كتابات المؤرخين العرب بالنقد والتمحيص .

لذا إن الدكتور جواد علي مؤرخ العرب الموسوعي لم يكن باحث تقليدي بل كان يربط مايتوصل إليه من بحث وتقصٍ مُضنٍ ودقيق ، لكي يُقدم صورة كلية تتناول أدق التفاصيل ، ضمن منهج علمي دقيق ، أي إنهُ لايأخذ بالعموميات ، ولايكتفي بما ورد في مصدر أو مرجع بعينهِ ، أي بأنهُ يجعل من جميع أعمالهِ تمتاز بصفة الموسوعية .

أما الدكتور طارق الحمداني فيقول " بأن كثيراً من آرائهِ في الكتابة أخذهُ عن العلماء والمستشرقين والأوربيين الذين سبقوهُ في هذا المجال(٨٠) . "

ويضيف أيضاً " بأن هناك رأي يقول إن هذا المنهج الذي سار عليه الدكتور جواد علي قد تعرض كثير من النقد وخاصةً من الفئة المثقفة آنذاك . إلاّ إن الدكتور جواد دافع عن نفسهِ بقولهِ إن هذهِ الإنتقادات وصفها بالإفتراءات التي لم تكن مبنية على أسس علمية "(٨١).

ويقول دكتور جواد إننا لانكيل التهم لمنتجات العقل الغربي في مجال الأستشراق والذي قدم خدمات كبيرة لحفظ التاريخ العربي . أي إنهُ يحسب على الأوائل الذين لفتوا الانظار إلى أهمية المدرسة الاستشراقية الالمانية ، أي إن الدكتور جواد إستفاد كثيراً من دراستهِ في المانيا . سيما المنهجية العلمية الدقيقة التي طبقها في كتاباتهِ وبخاصةً " تاريخ

العرب قبل الاسلام " و " المفصل " و " المهدي النتظر " كان واضح في التأثير الالماني في كتاباتهِ اللاحقة(٨٢) .

النتائج

الدكتور جواد علي المؤرخ العربي الموسوعي الذي لم يكن باحث تقليدي بل كان يمتاز بأصالة بحثهِ لاسيما تقصيهِ للحقائق التاريخية الدقيقة ، لكي يُقدم صورة كاملة تتناول فيها أدق التفاصيل ، وذلك ضمن المنهج العلمي الدقيق ، أي إنهُ لايأخذ ، كل ما ورد في مصدر أو مرجع بعينهِ ، أي أنهُ يجعل جميع أعمالهِ تمتاز بالموسوعية .

ويُعد من المؤرخين العراقيين الذين أسسوا روحية جديدة في التأريخ وبمنهجية تتميز بالجدية والحسم في التعاطي الأكاديمي ، الذي قدم نمط من الكتابة فيه الكثير من القواعد الأكاديمية المأخوذة من المدرسة الألمانية وخاصةً جامعة " هامبورغ " والذي كان لهُ الإسهام الفاعل في تحري الحقيقة ، وإن هذا الإسلوب المنهجي الذي إمتاز بالتنصيص أي البحث عن النصوص وتحليلها وتثبيت المصادر الأصلية وتقييمها وكتابة الحدث ليست كتابة سردية وإنما تحليلية .

والدكتور جواد علي لم يكن صاحب منهج فلسّفي في تفسير التأريخ بل كان يرى أن التاريخ يجب أن يكون بعيداً عن إبداء الرّاي الفلسفي ، وكان لايميل إلى إتباع أساليب فلسفية في إستنتاج الأحداث ، لكن ذلك كله لايمنع بأن نزعته النقدية بالأضافة إلى تأكيدهِ ضرورة إستخراج العبر من الأحداث التاريخية إنما تعبران عن نهج فلسفي نقدي إزاء التاريخ .

وفضلاً عن ذلك كان رأيهُ بخلاف كثير من المختصين أن يمارس المؤرخ دور في إصدار الأحكام والآراء تنقصها الأدلة ، وعدم إكتمالها ، إعتماداً على مقايسة الحاضر على الماضي وما فيهِ من إشكاليات حقيقة ، لاسيما في تفسير الحدث المعاصر وتحليله .

الاحالات

[١] . الدوري ، عبد العزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص١١٩

٢ . ابن النديم ، الفهرست ، ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، بلا تاريخ ، ص١٠.٩

٣٣ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الاسلام ، العرب قبل الأسلام ، دراسة ومراجعة ، د. نصير الكعبي ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، توزيع منشورات الجمل ، الطبعة الاولى ، ٢٠١١ج٢، ص٢٣

٥ . الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص١٢٠

٦ . م ،ن ، ص١٢٨

٧ . العزاوي ، عبد الرحمن حسين ، المنهجية التاريخية في العراق ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، وزارة الثقافة والأعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨، ص١٧

٨ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٢، ص٢٢

٩ . قاسم ، قاسم عبده ، تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية ، مجلة عالم الفكر ، أبريل ، الكويت ، ١٩٨٩، ص١٦٩

١٠ . العزاوي ، المنهجية التاريخية في العراق ، ص٥.

١١ . بدوي ، عبد الرحمن ، مناهج البحث العلمي ، الطبعة الثالثة ، الناشر ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧، ص٦. ٧.

١٢ . م ، ن ، ص١٨٣

١٣ . م ، ن ، ص١٨٧. ١٨٨

١٤. جابر ، سامية محمد ، منهجيات البحث الأجتماعي والأعلامي ، القاهرة ، دار المعرفة ، ٢٠٠٠، ص٢٤٥

١٥ . م ، ن

١٦ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص١٨. ٢٠

١٧ . م ، ن ، ج١، ص ٢١ . ٢٢

١٨ . م ، ن ، ج١، ص٥٠

١٩ . رؤوف ، عماد عبد السلام ، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني ، بيروت ، دار الوراق ، ٢٠٠٩، ص٦٨

٢٠ . م ، ن .

٢١ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١، ص٥٨

٢٢ . م ، ن .

٢٣ . م ، ن .

٢٤ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ قبل الاسلام ، ج١، ص٥٩

٢٥ . م ، ن، ج١، ص٦٠

٢٦ . م ، ن .

٢٧ . علي ، جواد ، تاريخ العرب في الأسلام ، ص١٠

٢٨ . الدكتور جواد علي أبحاث في تأريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص٦٩
٢٩ . م ، ن ، ج١، ص١٨. ٢٠.
٣٠ . م ، ن ، ج١، ص ٢١ . ٢٢
٣١ . القيسي ، د. ناهض عبد الرزاق و د. عبد الهادي فنجان الساعدي ، الآثاريون العراقيون الرواد " السفر الثالث " مع ملحق خاص بالمؤرخين العراقيون الرواد ، بلا تاريخ .
٣٢ . العمري ، هناء ، المؤلف والصحفي الموهوب جواد علي ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٠ ، لسنة ١٩٨٥، ص٧٤
٣٣ . القيسي ، الآثاريون العراقيون الرواد ، السفر الثالث ، ص٢٥
٣٤ . م ، ن .
٣٥ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص٢١. ٢٢
٣٦ . ملفة جواد علي ، المجمع العلمي العراقي ، العدد ٣٠٥، بتاريخ ٤/ ٥/ ١٩٦١
٣٧ . ملفة جواد علي ، المجمع العلمي العراقي ، العدد ٥٠٨، بتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٦١ .
٣٨ . الدكتور جواد علي أبحاث في تأريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص٢٧
٣٩ . الدكتور جواد علي أبحاث في تأريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص١٩
٤٠ . جريد ة المدى ، جواد علي ، ٢٧/ ٨ / ٢٠٠٧.
٤١ . . ملفة جواد علي ، المجمع العلمي العراقي ، العدد ٥٢٠ ، بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٤٨
٤٢ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص٣١
٤٣ . م ، ن .

٤٤ . ملفات جواد علي ، المجمع العلمي العراقي ، العدد ٥٩٩، بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٦٢
٤٥ . القيسي ، د. ناهض عبد الرزاق و د. عبد الهادي فنجان الساعدي ، الآثاريون العراقيون الرواد " السفر الثالث " مع ملحق خاص بالمؤرخين العراقيون الرواد ، بلا تاريخ .
٤٦ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١، ص٢٤
٤٧ . م ، ن ، ج١، ص٣٤
٤٨ . القيسي ، الآثاريون العراقيون الرواد ، السفر الثالث
٤٩ . المطبعي ، حميد ، العلامة المؤرخ جواد علي ، مجلة بين النهرين ، العددان ٥٩. ٦٠، ١٩٨٥، ص٩٣
٥٠ . علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الأسلام ، بغداد ، ١٩٥١، ج٢، ص٦
٥١ السيد ، رضوان ، المستشرقون الألمان ، بيروت ، المدار الإسلامي ، ٢٠٠٧، ص٥٥.
٥٢ الجماسي ، ١٦/ ١/ ٢٠١٠، ص١٦
٥٣ . الآثار العربية المنتخبة ، م١، ص٣٥

٥٤ العمري ، هناء ، مع شيخ المؤرخين العراقيين جواد علي ، مجلة آفاق عربية ، العدد العاشر ، تشرين الاول ، ١٩٨٥، ص٧٤

٥٥ . الدكتور جواد علي أبحاث في تاريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص٦٢

٥٦ . الآثار العربية منتخبات من أبحاث المؤرخ الدكتور جواد علي ، تصدير ، د. إسماعيل سراج الدين ، وتقديم ، د. بشارمعروف عواد ، فكرة وجمع الابحاث ، رامي مجدي الجمل ، م١، ص٣٨

٥٧ . شيخ المؤرخين العلامة د.جواد علي وارآؤهُ في التاريخ ، جريدة الصبح الجديد ، الأربعاء ، بتاريخ ١٤/ تموز / ٢٠٠٩، ص٧

٥٨ . تاريخ العرب في الإسلام ، ص٣١

٥٩ . تاريخ العرب في الإسلام ، ص٨

٦٠ . تاريخ العرب قبل الأسلام ، ج١، ص٦

٦١ . م ، ن .

٦٢ . م ، ن ، ج١، ص٣٠

٦٣ . علي ، جواد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، ج١، ص٧

٦٤ . مجلة آفاق عربية ، ص ٥

٦٥ . م ، ن .

٦٦ . . الكتور جواد علي ، أبحاث في تاريخ العرب قبل الأسلام ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، ج١، ص٤٨

٦٧ . المطبعي ، حميد ، مجلة آفاق عربية حوار ، العدد ١٠ ، السنة التاسعة ، حزيران ، ١٩٨٤، بغداد ، وزارة الثقافة العربية ، ص ٥

٦٨ . الآثار العربية منتخبات من أبحاث المؤرخ الدكتور جواد علي ، م١، ٣٩.

٦٩ . م ، ن .

٧٠ . الآثار العربية منتخبات من أبحاث المؤرخ الدكتور جواد علي ، م١، ٣٩.

٧١ . م ، ن .

٧٢ . علي ، جواد ، تاريخ العرب في الإسلام ، ص٣١

٧٣ . علي ، جواد ، تاريخ العرب في الإسلام ، بغداد ، مطبعة الزعيم ، ١٩٦١، ص١٢

٧٤ . علي ، جواد ،تاريخ العرب في الإسلام ، ص١٢٣ ، الجماسي ، ، كاظم ، جريدة المدى ، تستذكر " ذاكرة العرب " العلامة جواد علي ، بتاريخ ، ١٦/ ١/ ٢٠١٠، ص١٦

٧٥ . الجماسي ، ١٦/ ١/ ٢٠١٠، ص١٦

٧٦ . حوار آجرتهُ مجلة آفاق عربية، ١٩٨٤، ص ٥

٧٧ . علي ، ٢٠٠١، ج٥، ص١٠٢

٧٨ . م ، ن .
٧٩ . م ، ن .
٨٠ . الجماسي ، ١٦/ ١/ ٢٠١٠، ص١٦
٨١ م ، ن .
٨٢ . م ، ن .